

التسول ظاهرة مرضية تستفز المجتمع المغربي

إعادة الاعتبار للمدرسة العمومية كقيلة بتربية الأجيال على العفة والكرامة

استدراء عطف الناس ومحاولة الاستحواذ على مشاعرهم من بين الأهداف الرئيسية للتسول لاكتساب ودهم ومن ثم نقودهم، قاعدة ينتهجها كافة التسولين المحترفين والهواة، وكلما زادت حاجة التسولين للمال طوّر هؤلاء أساليب استجلابه، وكحالة ميدانية أضحت التسول ظاهرة مقلقة بشوارع المغرب انعكست سلبيا على كافة مناحي الحياة.

محمد مامون العلووي
صحافي مغربي

الرباط - كلما جلست في مكان عام في المغرب، إلا ويتبعك متسولون فرادى أحيانا وجماعات أحيانا أخرى، والغريب أن نساء يحملن أطفالهن بمعينة أزواجهن أصبحوا يمتنون التسول كمهنة.

وحددت تقارير عدد المتسولين بالمغرب بحوالي 195 ألف.

أكد فؤاد بلخير، الباحث في علم الاجتماع، لـ"العرب"، أن التسول أصبح "ظاهرة مرضية" بالمجتمع المغربي، موضعا "إذا قلنا إنها ظاهرة اجتماعية فهذا لا يحصد بالدقة اللازمة هذه الظاهرة، بل أضحت التسول مرضا اجتماعيا يجب البحث في أسبابه التي قد تكون كامنة في الثقافة المغربية".

والخطر، وفق الباحث، أن هذه الظاهرة تمسّ جميع الفئات العمرية، حيث تجد أطفالا صغارا وشبابا وكهولا وشيوخا ونساء ورجالا.

وظاهرة التسول في المغرب، حسب عبد العالي الرامي رئيس منتدى الطفولة، أصبحت معضلة اجتماعية حقيقية "رغم أن امتنانها يحط من كرامة الإنسان، وهي جريمة يعاقب عليها القانون". وأضاف "تعتبر هذه الظاهرة وصمة عار على جبين مؤسساتنا الرسمية والمجتمعية، وفي طبيعتها الحكومة بكل مراقفها الاجتماعية".

الزجر هو حائط الصد
الأهم في محاربة التسول
وتقليصه خاصة مع تزايد
احتراف الظاهرة بدخول
أجانب على الخط

وأضاف الرامي في تصريح لـ"العرب"، أن الهجرة زادت من تعقيد الوضعية بحيث أصبح الأمر مقلقا حقا بسبب احتلال مفترقات الطرقات، في جل المدن بما أن فهم يقومون بالتسول من أجل لقمة العيش، وجمع أموال لتكوين زادا لهم من أجل متابعة الهجرة إلى أوروبا.

وسجل فؤاد بلخير، أن هناك التسول المباشر والذي يطلب فيه المتسول المال في جميع الفضاءات العمومية المشتركة من مساجد ومقاهي وحانات وحافلات، كما أن هناك تسولا غير مباشر، والذي أضحت ظاهرة لافتة وتستفز كل الفاعلين في المجتمع المغربي وهو تسول متفحّص يتسّر ممتنونوه خلف تقديم بعض الخدمات الرمزية كسمّح زجاج السيارات. يقول رشيد نادل بأحد مقاهي مدينة مكناس "كل يوم تدخل المقهى أشكالا جديدة من المتسولين نساء ورجالا وأطفالا"، مضيفا "هناك وجوه مالوفة تاتي في وقت محد من النهار، منها ما تستحق بالفعل الصدقة والمعروف وأخرى نراها مرة أو مرتين ثم تختفي".

من جهته يقول حسن، لـ"العرب"، وهو بقال بحسي الأطلس في مدينة فاس، "عشرون سنة وأنا اشتغل بهذا المحل التجاري لا يمكن أن يمر يوم دون أن يأتي تسول طالبا صدقة أو كي استبدل له قطعا نقدية معدنية بفئات ورقية، ومع مرور الزمن أصبحت أميز بين التسول الحقيقي والمزيف، وأعرف عددا من النساء والرجال يمكنون شققا في مدن أخرى وأموالا كثيرة جونها من مهنة التسول، وقد تصل مداخيلهم إلى أكثر من 400 درهم في اليوم الواحد".

انهايار القيم

أضحت التسول ظاهرة مستفزة داخل المجتمع فهناك من يرجعه إلى تغيير في قيم التضامن ويربطه آخرون بطروف اقتصادية واجتماعية.

يعتقد فؤاد بلخير، أن الظاهرة استفحلت بداية من عام 1982 إبان



المحتاج الحقيقي متعفف

بأخرى بالية لاستعفاف المصلين. والأشكال التي يستخدمها المتسول كثيرة، فهو يبدع ويجتهد في خلق أشكال متنوعة للقيام بالتسول وحيل في إظهار الحاجة المأساة للمال وقد طوروها أساليب البكاء أو إظهار أنفسهم وكأنهم من ذوي عاهات لاستنارة عطف المارة، وهناك نساء من يلبسن لباسا أبيض ويذعن أن الزوج قد توفي وترك لهنّ طفلين ولا معيل لهنّ، رغم أن غالبية اللواتي يستعملن هذه الوسيلة ليس لهنّ أولاد بل يستغلن أطفالا تمّ التخلي عنهم أو يتامى.

من جانبه، كشف سعيد، ممون لإحدى دور المسنين بالخضر واللحوم في حديثه لـ"العرب"، أن هناك بعض المسؤولين الجشعين يستغلون الرجال والنساء المتخلى عنهم فيتركونهم يخرجون إلى الشارع بعد وجبتَي الفطور والسرقة، وهم يحتاجون فقط لمبلغ مالي كل ما يتحصلون عليه.

فيما قال محمد، موظف بإحدى الشركات، لم يعد الشارع والأزقة محلا للمتسولين بل عابثت في كثير من الأوقات أن متسولين باتوا يستخدمون "طرقا متطورة"، إذ باتوا يدخلون الشركات للنصب على الموظفين والمدراء، واستدراء عطفهم بدواعي مرض أحد أفراد عائلاتهم أو أنهم لا يسكنون المدينة وتعرضوا للسرقة، وهم يحتاجون فقط لمبلغ مالي كي يصلون إلى منازلهم في مدن أخرى، وأضاف أن هذه الوسيلة المبتكرة يشترك فيها النساء والرجال الذين يبدون بهندام جيد.

تشديد العقاب

يبدو أن الزجر هو حائط الصدّ الأهم في محاربة ظاهرة التسول وتقليصها، وفي هذا الإطار تقوم السلطات المختصة بين الفينة والأخرى بعمليات تمشيط للقبض على المتسولين وإيداعهم المصالح الخاصة.

يذكر أن أعضاء البرلمان اهتموا بظاهرة التسول، وقد تمت مناقشة الموضوع داخل مجلس المستشارين بتاريخ 4 يونيو 2019، مطالبين الحكومة بمحاربتها كونها تسيء إلى صورة المغرب، لاسيما في ظل وجود شبكات باتت تمتص هذا النوع من العمل وتستغل أطفالا تمّ التخلي عنهم؛ وذلك من خلال القيام بمراجعة تشريعية لمحاصرة المساهمين في الظاهرة.

وكمثال أوقفت عناصر الشرطة بمدينة أكادير، في العام 2018 امرأة تمتن التسول بعد مراقبتها لمدة معينة، فتبين أنها تمثلك منزلا خاصا بها، وسيارة فارغة تنتقل بها بين المساجد بعدما تقوم بتغيير ملابسها الجميلة

الهجرة زادت من تعقيد
الوضعية خاصة أن المغرب
بلد عبور لمجموعة من
المهاجرين فهم يقومون
بالتسول من أجل لقمة
العيش، وجمع أموال لتكون
زادا لهم من أجل متابعة
الهجرة إلى أوروبا



الرئيسية المؤدية إلى هذه الظاهرة داخل المجتمع المغربي، خصوصا مع تزايد الهشاشة الاجتماعية وغياب العدالة الاجتماعية الناتجة عن سوء التوزيع العادل للثروة.

ويجمع برلمانيون بمجلس المستشارين، بأن ظاهرة التسول تقتضي إيجاد حلول اقتصادية واجتماعية، إذ أن تحسين هذه الظروف يكون سببا مباشرا في الحد من ظاهرة التسول أو تخفيض نسبتها العامة، التي ترسم أرقاما مهولة على الصعيد الوطني.

استغلال الأطفال

تقول حسنية فتاة من مدينة فاس لا تتعدى الثانية عشرة من عمرها، إنها

ترعرعت في وسط يمتن التسول حيث أن "جدتي كانت ولا زالت تحثنا على الوقوف أمام المساجد والأسواق وجلب النقود، فهي لا تتسامح معي أو مع أخي الذي يصغرنى بعامين، فالهمم عندها أن تكون مفيدون للعائلة المكونة من سبعة أفراد". وتضيف في تصريح لـ"العرب"، أن والدتها كانت هي الأخرى تجلس إلى جانب جدتي أمام المساجد وتقصص المنازل في الأحياء الراقية، أما أبي فعمله يتمثل في حراستنا من بعيد، وعندما يقع مشكل ما مع أحد المتسولين يتدخل بعف حتى أصبح كل من يعرفنا أنا وأخي وجدتي لا يتجرأ على التحرش بنا.

وتؤكد حسنية أن "التسول هو مستقبل، هذه هي مهنتي، هذه هي حياتي، فانا الآن في أوج عطائي". ولم تقدم الفتاة رقما حول مدخرات العائلة أو المدخول اليومي، لكنها أشارت إلى أن المبالغ التي تحصل عليها تنخفض وترتفع حسب المواسم والفصول.

ويجمع المهتمون والمستغلون بميدان علم الاجتماع والحقوق والتربية، أن التسول بالمغرب آفة مجتمعية، خصوصا مع توسع دائرة استعمال الأطفال ونوعي الحاجات الخاصة كأدوات فعالة في عملية التسول.

وقال فؤاد بلخير، إن الذين يمتنون التسول هم من الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 7 سنوات و11 سنة، يتنقلون بين المقاهي والطرقات، كما أن هناك متسولين موسمين في المناسبات الدينية كالأعياد وشهر رمضان.

ومن التجليات المؤلمة والخطيرة لهذه الظاهرة، حسب عبد العالي الرامي، انحراف الأطفال من كل الأعمار في ممارستها، كما يتمّ استغلالهم ويستعملونهم كقطع وكوسيلة لاستدراء